



رأي

الطب الشعبي أو التقليدي أو البديل والوعي الجماهيري بإيجابياته وسلبياته

مالك الحباشنة *

يُعدّ الطب البديل أو الشعبي من أقدم أنواع الطبّ المعروفة منذ آلاف السنين، حيث يعتمد في علاجه للأمراض أو الوقاية منها على بعض من الممارسات والطقوس، واستخدام المواد الطبيعية من أعشاب ومستحضرات عشبية من بذور وأوراق وجذوع، والتي تكون مطحونة أو منقوعة أو مغلية. وهناك انتشار واسع لممارسته وقبوله من قبل عامة الناس في دول العالم كافة، وذلك بسبب توفره وقلة كلفته في الدول الفقيرة، في حين أن انتشاره في الدول المتقدمة يعزى لظهور الآثار الجانبية الضارة للأدوية الكيماوية.

وقد أسهم ممارسو الطب البديل بقسط وافر في تحسين الصحة البشرية، لذلك أصبح من الضروري أن يخضع هذا العلم المهم والحيوي لنفس الشروط التي يخضع لها الطب الحديث، من حيث دراسة وإثبات فعالية هذه المستحضرات العشبية والخلطات الغامضة، وبيان أعراضها الجانبية والحد منها. والجدير بالذكر أنّ هذا الطب احتفظ بشعبيته في جميع أنحاء العالم، ويُشار له في بعض البلدان بمصطلح «الطب البديل» أو «الطب التكميلي». ويشير هذان المصطلحان إلى مجموعة من ممارسات الرعاية الصحية التي لا تدخل ضمن تقاليد البلد، ولا تندرج ضمن نظام الرعاية الصحية الرئيسي.

وقد صدرت الوثيقة الأولى للاستراتيجية العالمية للطب الشعبي عن منظمة الصحة العالمية، وتركز على النقاط الرئيسية التي تُعرّف الطب الشعبي وتدرس استعماله الواسع والمتنامي، وأسباب هذا الاستخدام الواسع يقارن بين الحماس المبالغ فيه والشك غير المبرر، ويتحدث عن التحديات في تطوير الطب الشعبي، ودور منظمة الصحة العالمية، من حيث رسم السياسة الوطنية وقضايا السلامة والجودة وإتاحة الطب الشعبي للمحتاجين، ودمجها ضمن الأنظمة الصحية الوطنية، والتأكيد على أشكال الطب الشعبي المناسب والسليم والفعال.



وتعرّف منظمة الصحة العالمية (WHO) الطب التقليدي على أنه «مجموعة الممارسات والمناهج والمعارف والمعتقدات الطبية التي تتضمن استخدام الأدوية والأساليب العلاجية الروحانية والتقنيات اليدوية، والتمارين القائمة على النباتات والحيوانات والمعادن، والتي تُطبق بصورة فردية أو جماعية للمداواة والتشخيص والوقاية من الأمراض أو الحفاظ على الصحة». وقد تم تعريف الطب الشعبي أو التقليدي أيضاً خارج نطاق الطب الحديث، ليشمل الطقوس والممارسات العلاجية للشفاء، أو المرض أو الوقاية منه .

وقد بينت الدراسات الحديثة أن للأعشاب مفعولاً حقيقياً في

كما أن خلطة النباتات الطبية التي تمتاز بمعرفة وخبرة من قبل الطبيب أو خبير الأعشاب، تعطي مفعولاً قوياً وسريعاً وتعالج المشكلات الصحية من أساسها، كما أثبتت ذلك التجارب العلمية في بقاع مختلفة من العالم. والزعم بأن وجود تداخل عشبي - عشبي، يحتمل ظهور أضرار صحية وخيمة، هي فرضية خالية

وقد بينت الدراسات الحديثة أن للأعشاب مفعولاً حقيقياً في

* مدير التوعية والإعلام الصحي - وزارة الصحة الأردنية

علاج عسر الهضم والغازات والتيفويد وطرده الديدان الدبوسية ومنشط للمعدة، وله أهمية في خفض الكولسترول في الدم وتنشيط عضلة القلب، إضافة إلى علاج ضعف اللثة وآلام الأسنان وغيرها.

وكذلك العلاج بالكلي وهو إتلاف نسيج حي سليم أو مريض بمادة كاوية أو أداة ساخنة لغاية العلاج. والحجامة وهي تحويل الاحتقان الدموي من مكان إلى آخر، وتعرف في الطب الشعبي (كاسات الهواء). وتعرف أيضاً بأنها استنزاف كمية من دم الجسم

بإحداث جرح صغير فيه ووضع كأس يفرغ منه هواؤه بحرق قطعة قماش صغيرة فيه، فوق الجرح فيتدفق الدم إلى الكأس. وكذلك العلاج بالتجبير وهو ممارسة علاجية شعبية تختص بعلاج الكسور وما يصيب عضلات وأوتار الجسم من التواءات أو ارتخاءات أو غير ذلك، باستخدام مواد طبيعية مختلفة للتجبير مثل الصابون والبيض، ويحظى المحبر عادة بثقة مطلقة من مستفيديه، أكثر مما يحظى به أطباء العظام. والكهانة

والعرافة، وهما شعوذة ودجل وادعاء بعلم الغيب. وكذلك اليوجا وهي نوع من أنواع الرياضة التي تعمل على استرخاء الجسم وتقوية عضلاته، وتعمل على علاج الاكتئاب، وتحفيز الدماغ على العمل وبناء الخلايا في الجسم وإفراز هرمون الأفيونات الذي يقوم بتسكين الآلام.

وأيضاً الإبر الصينية، حيث انتشر علاجها بشكل كبير لقدرتها على علاج مرض الزئو والإدمان على المخدرات، والمساعدة على إفراز هرمون المورفينات والكورتيزونات الذي يقوم بعلاج التهابات العصبية والجدلية، كما تزيد الإبر الصينية من رطوبة الجسم والتخلص من جفافه، علماً بأنها تستعمل بشكل واسع في الصين وفي بعض دول العالم، وباستخدام أجهزة متطورة ومحدثة، وتخضع لقوانين وأنظمة في تلك الدول.

من أي دليل علمي إلا في حدود ضيقة جداً يعرفها الباحثون في طب الأعشاب، وهي متعلقة غالباً بالنباتات التي لها أثرها على الدورة الدموية وتخلط الدم وبعض الحالات النفسية، لذا فإنه ينبغي لهذه النظرية غير الصحيحة أن لا تسيطر على عقول القائمين على ترخيص المنتجات العشبية، والذين يفترضون للأسف الشديد أسوأ الاحتمالات الناتجة عن خلطات الأعشاب، ويطبقون عليها نفس المخاوف الناشئة عن خلط الأدوية الكيماوية.



وتتضمن مجالات الطب الشعبي العلاج بالأعشاب والنباتات، ويعتبر التداوي بالأعشاب من أقدم أنواع الطب البديل، فيتم استخدام نوع من الأعشاب في علاج مرض ما، ومن هذه الأعشاب نبتة النعناع الذي يستخدم في علاج الإسهال وألم المعدة، ونبتة البابونج في علاج الحموضة والغثيان والقرحة، والبقدونس يساعد على التخفيف من أعراض الطمث والتوتر والاحتباس البولي، كما أنه يحتوي على العديد من المعادن المفيدة للجسم كالحديد والبتاسيوم وفيتامين ب6. وزيت الكتان، وهو مفيد جداً للأوعية الدموية والأعصاب والبروستاتا. والهندباء تعمل على تطهير الكبد والحفاظ على صحة الجهاز الهضمي، وخفض مستوى السكر في الدم، وتحفيز البنكرياس على العمل. ونبتة الزعتر تستخدم كمضاد حيوي جيد للوقاية من العديد من الفيروسات، كما يعالج التهاب الحلق والسعال والتخلص من آثار الجروح. والثوم يساعد على

اللاصقة، وعلم النفس العيادي والصحة النفسية والإرشاد النفسي، وفنيي الأسنان والإرشاد الصحي السني، والقبالة والمختبرات والمعالجة الحكيمة والصحية، والأطراف الصناعية والجباير وتقويم الأقدام، والمعالجة اليدوية للعمود الفقري وأي مهنة أو حرفة طبية أو صحية أخرى يقررها مجلس الوزراء بناء على تنسيب الوزير. و(5/ب) لا يجوز لأي شخص القيام بأعمال الدعاية والإعلان أو ممارسة أي من المهن الطبية أو الصحية ما لم يحصل على ترخيص لذلك من الوزير وفقاً للقوانين والأنظمة الموضوعة لهذه الغاية.

وتنص المادة (6/أ) مع مراعاة القوانين الخاصة بنقابات الأطباء والصيدلة وأطباء الأسنان والتمريض والقبالة أو أي تشريع آخر ذي علاقة بالمهن الطبية والصحية، تحدد الأحكام والشروط الخاصة بمنح الرخص لمزاولة هذه المهن وحالات سحب الرخص وإلغائها وتجديدها بمقتضى أنظمة تصدر لهذه الغاية. والمادة (7) تحدد بمقتضى نظام خاص، المواصفات والشروط الصحية والفنية الخاصة بأماكن ممارسة المهن الطبية، بما في ذلك مساحاتها ومرافقها والتفتيش عليها.

كما تنص المادة (9/ب) على أن على كل من يقوم بفحص مريض، أو التظاهر بأن في وسعه فحصه أو تشخيص مرضه أو معالجته أو وصف الأدوية له، أو تقديم خدمة من الخدمات التي يقدمها عادة أحد الأشخاص، ويعتبر إعطاء عقاقير أو وصفات طبية أو معالجة الغير بأي صورة كانت، أو حيازة أي شخص لمعدات أو أدوات طبية أو علاجية أو لعقاقير تزيد على حاجته أو حاجة عائلته دليلاً أولاً على أن الشخص يمارس مهنة طبية أو صحية خلافاً لأحكام هذا القانون، ويعاقب بالعقوبات المنصوص عليها فيه.

وعطفاً على ما سبق فإن هذه الممارسات موجودة في المجتمعات كافة وفي المجتمع الأردني أيضاً. وبعض هذه الممارسات قد يشكل خطورة متوسطة أو عالية، وهي أمر واقع تقوم به جهات أو أفراد بمسميات مختلفة، ومن الصعب ضبطها كونها تتم داخل أماكن غير مرخصة رسمياً، إضافة إلى أنها مقبولة من قبل المواطنين، ولديهم قناعات بفعاليتها، خاصة عند محدودية العلاج أو الشفاء من بعض الأمراض. وتظهر هذه الممارسات فقط عند حدوث مضاعفات. ومن الأهمية بمكان أن تعمل الجهات الرسمية على وضع تعليمات وأنظمة من خلال ضوابط تحكم هذه الممارسات، بغرض السيطرة عليها والحد من المضاعفات المترتبة عليها، كما هو معمول به في بعض الدول كألمانيا الاتحادية وبريطانيا ودول أخرى، وبالإمكان الاعتماد في تنظيم هذه المهن على الأنظمة والقوانين المرعية مثل قانون الصحة العامة.

والمشكلة تكمن في قبول عامة الناس للعلاج الشعبي، كونه مواد طبيعية وليست كيميائية، وهذا ما يدفع كثير منهم إلى تجربة أي نوع من هذه العلاجات دون إشراف طبي، لأنهم يعتقدون أن لا حاجة إلى إشراف طبيب، ويفترضون أن الطبيب سوف يعارض استعمالها مسبقاً، حيث إن القضية تكمن في عدم وجود تحاليل كيميائية لمكونات الأعشاب التي قد تحتوي مواد مفيدة ومواد مضرّة معاً، ولا يوجد معرفة كاملة للجرعات المناسبة لهذه العلاجات، مما يؤدي إلى فقدان الفاعلية أو زيادة المخاطر الجانبية. وعادة ما يقوم المريض الذي يستعملها بإيقاف الدواء الموصوف له من طبيبه باعتبار أنه يأخذ علاجاً طبيعياً، مما يعرضه لمخاطر صحية. ولا توجد دراسات علمية تبين أثر هذه العلاجات الطبيعية وفعاليتها مع الأدوية الكيميائية المستخدمة، إضافة إلى عدم التزام المريض باستخدام هذه العلاجات.

ولأن هذا الطب يحتفظ بشعبيته في جميع أنحاء العالم لا بد من وجود إجراءات أساسية لضمان سلامته وجودته على المستوى الوطني، من حيث تنظيم وتسجيل وطني للأدوية العشبية ضمن أنظمة وتعليمات ملزمة، ومراقبة السلامة للأدوية العشبية وغيرها، ودعم البحوث السريرية ودراسة النباتات الطبية، وإيجاد معايير وطنية لتقييم سلامة وجودة العلاجات.

ونوجه دعوة إلى علماء النبات والأعشاب والطب البديل لكي يقوموا بما نقوم به نحن الأطباء، وهو أننا نقدم الدليل العلمي على أن ما نصفه من دواء لمرضانا مدروس بشكل دقيق، ومثبت أنه فعال وآمن في وقت واحد، وبدون ذلك سوف يبقى هذا الطب الشعبي، شعبياً متشعباً تنمو الأعشاب الضارة بين أزهاره وتفتسرس أشجاره حشرات الغش وآفات الدجل.

وحسب قانون الصحة العامة رقم (47) لسنة 2008 الفصل الأول من مهام الوزارة ومسؤولياتها في المادة (3/أ) الحفاظ على الصحة العامة بتقديم الخدمات الصحية الوقائية والعلاجية والرقابية، وكذلك المادة (4/ب) التي تنص على رفع المستوى الصحي للسكان بمكافحة الأمراض الناجمة عن سوء التغذية بإضافة المغذيات الدقيقة كالسيوم والحديد والفيتامينات وما شابهها إلى المواد الغذائية، أو طلب تعديل مكوناتها ومنع تسويق الأغذية ذات الخطر على الصحة، أو التي يحتمل خطرها.

وفي الفصل الثاني/ الشروط والصلاحيات (ضمن ممارسة المهن الطبية والصحية) نصت المادة (5/أ) أنه تشمل المهن الطبية والصحية مزاوله أي من الأعمال التالية: الطب وطب الأسنان والصيدلة والتمريض والتخدير والأشعة ومعالجة النطق والسمع وفحص البصر وتجهيز النظارات الطبية، وتركيب العدسات

عقول.. وفضائيات!

إبراهيم السواعير *

تقتحم علينا الفضائيات التجارية والدعائية بيوتنا في برامج لافتة تستحق الوقوف عندها، والتنبيه على ما يمكن أن تشكّله من أخطار على ربّات البيوت تحديداً، خصوصاً وهي تلامس حاجاتٍ أصيلةً في الإنجاب وإعادة الزوج وحماية البيت والأبناء مما يمكن أن تسببه «الأعمال الشريفة» التي يقوم بها المشعوذون، أو ما اصطلح على تسميتهم في مجتمعنا بـ«الحجابين».

تُدخل الجمل القدر والمرء القبر، بل ونؤمن بالرقية والحماية بكتاب الله وتوفيقيه، وبالأخذ بالأسباب - نقول إنّ هؤلاء الروحانيين وهم يفتخرون بأنهم يمكن أن يجعلوا المشاهد يفوز بالمسابقات ويحازها إنّما هم أمام أحد أمرين: إمّا أنّهم يشتغلون على السيكولوجية، أو أنّ لديهم جنوداً ربما يسرقون «الأسئلة» أو يهرّبونها، أو ربّما أنّ

هذه الفضائيات باتت تتفنّن في إظهار صورة الشيوخ وهم يمارسون الحماية على الشاشة التي تُدبّل عادةً بشريطٍ يثير الضحك والاستغراب في إمكانية التواصل على أرقام هؤلاء الشيوخ، للحدّ من العنوسة وإعادة الغائب وتقوية الذاكرة، وما شابه، في ظلّ قلق نفسي تواجهه الأسرة الطيبة البريئة لسببٍ أو لآخر.



لديهم وسائل نفسية لا نعلمها نحن يتبعونها في هذا الأمر. وعلى أية حال، فإنّ في هذا دعوة إلى الركون والكسل وتعطياً للحياة التي لا تستمرّ إلا بإعمال العقل الذي دعا إليه الدين الخفيف، وأكد استثماره في إعمار الكون وتحقيق غايته الإنسانية النبيلة للبشرية جمعاء.

وقد انتبهت وزارة الثقافة الأردنية إلى خطر المشعوذين واشتغالهم على النفس البشرية واستنفادهم جيوب البسطاء، فقامت علاوةً على محاضراتها وندواتها في هذا المجال، بإدراج حقل الطب الشعبي

المضحك المبكي أنّ هذه البرامج باتت تتمكّن منّا أو «تستغفلنا» في أنّ لدى هؤلاء القدرة على «الفوز في المسابقات»، ولعلّ في هذا ما يثير في النفس شيئاً من الحيرة أمام «أعمال جاهزة» أو قلوب حزينة يمكن أن تقبل بهذا، مع ما يجزّه ذلك من مصاحبات الإيمان واليقين بالمقدرة العجيبة التي ستنفذ البيت وتجنّبه كثيراً من الشرّ الذي قامت به «الجارّة» - في أغلب الأحيان - وتركت سحرها يشوي في مكانٍ قصيٍّ ظلّ يجرّ على البيت الوبال.

لكننا - ونحن لا ننكر السحر و«العين» وما نتداوله من أنّ العين

* إعلامي أردني

رأي

فينصبّ جهده وعقله على ذلك، ولو آمن بالأسباب واتخذ منها وسيلةً لإدراك المراد لما كان بحاجةٍ إلى كلِّ هذا الذي يصدق أو «يصدف» منه شيءٌ وتخيّب منه كثيراً من الأشياء. علينا اليوم أن ننتدي لذلك، وأن نستثمر كلَّ الوسائل في سبيل

أو البديل أحد حقول جوائزها الإبداعية، واشترطت لذلك أن يقوم الباحث أو المتقدم لنيل الجائزة في هذا الحقل أن يضيف شيئاً أو أن يدحض فكرةً، وأن يرسخ بالمنهج العلمي أنّ القناعات العلمية لا تتعارض مع الطب البديل، ومنه العلاج الروحي قيد الحديث.



الفصل بين التراث الحقيقي الإيجابي والسلوك المصاحب لهذا التراث الذي تناولته السينما العربية على وجه التحديد والمسرح وكلّ ألوان الفنون، بل وعالجته الرواية والقصة والحكاية الشعبية وفنون الأدب، فقرأنا من خلال ذلك كثيراً من أوجه التعدي على حقوق الإنسان وانتهاك آدميته في طقوس محزنة بينها وبين العلم أشواطٌ وأشواط.

إنّ للأكاديميين ورجال الدين والفقهاء والعلماء والمؤسسات والنخب والمتقنين والإعلاميين دوراً لا يمكن أن يغيب، لأنّ المكاشفة أول الطريق للعلاج، وكفانا ما نراه من روااسب باتت تتماذى على هذا العقل الجدير بكلّ احترام، ونحن نعلم أنّها ليست من ديننا السمح الخفيف في شيء.

إنّ فكرة أن يدخل أحدنا إلى طبيب نفسي لم تعد عيباً في ظل وعي عام على مستوى المؤسسة الثقافية والاجتماعية والأفراد، وإنّ هذا الفكر الذي يشغل الإنسان له ما يبرره، ولكن أن نتجاوز فترة الألفية الثانية بمصاحباتها في التقدم التكنولوجي والوعي وكون العالم قريةً صغيرةً ونركن في الوقت ذاته إلى أمور نعلم أنّها ليست بحكم الغيبيات، بل نعرف أسبابها، فتبادلنا أيدي المشعوذين، وتجعلنا غير مطمئنين، فإنّ في ذلك تناقضاً ينبغي أن نتندي له بالمؤتمرات والاستنارة، لتكون الفضايات الصادقة هي من يدحض هذا العبث والخراب الذي تخلّفه البرامج التجارية وما سار سيرها في التنجيم ومعرفة الطالع وحالات البؤس والشقاء التي يتعرض لها الإنسان.

لكنّ المؤلم أننا أمام طيف مجتمعي لم يقف فقط أمام ما يجلبه الحظ، بل دخل المعترك وبات يبحث عما يأخذه إلى حياةٍ جديدة،

عادات العزاء بين الأصالة والتشويه

عبدالله مطلق العساف *

يمكن القول إن التقاليد والأعراف والقيم الاجتماعية، تتشكل في مجموعها جزءاً كبيراً من شخصية المجتمعات وهويتها الثقافية، التي قد تنفرد فيها أو تشارك في خصائصها مع مجتمعات تاريخية أخرى، وذلك حسب تجاربها التاريخية أو حسب عوامل اللغة المشتركة والدين المشترك، أو النسب القومي المشترك. وهذه في مجموعها تساهم في نشأة هذه القيم ونموها ببطء إلى أن تصبح داخلية في التكوين الوجداني والعاطفي والسلوكي لأفراد المجتمع، وتعكس أصالته وطبيعته.

التي تم الاعتراف المتبادل بها عبر حقبات زمنية طويلة. وما يدعو إلى الاستهجان أن هذه المبالغات الطارئة، أصبحت لدى الكثيرين تعكس طابعاً افتخارياً أو تفاخرياً، يشوبه أحياناً الرياء، ما يُفسد أو يُفقد المناسبة نقاءها وأصالته من حيث المشاعر والأحاسيس المرافقة لهذه المناسبة، التي يحرص الناس على إظهارها لأصحاب المناسبة، تعبيراً عن الحب أو التضامن أو التعاطف، أو الدعم المعنوي، وذلك حسب طبيعة المناسبة.

إننا نسوق هذا الحديث عن العادات الأردنية وطبيعتها ودورها ووظائفها الاجتماعية والإنسانية، بقصد التأكيد على تعزيزها وتقويتها، ثم الحرص على أدائها لرسالتها التي وجدت من أجلها. لكننا نشعنا هنا التخصيص على عادة من هذه العادات لنوضح بعض التحولات التي طرأت عليها، وضرورة التوقف عندها ومراجعتها بشكل صحيح، ونحن هنا نخصّ مناسبات العزاء في الأتراح، وهي حصيلة قيم مُستمددة من الدين الإسلامي، ومن العادات العشائرية والأخلاقية الأخرى، وهذه العادة أصابها من التطور أو بالأحرى التشوه ما أصابها، وترافقها سلوكيات وطقوس سلبية يبدو فيها طابع المبالغة كبيراً جداً، حتى إنها أصبحت تقليداً يحل محلّ التقليد الأصيل المعروف فيها، ولا شك أن هذه الطقوس تنطوي على مشقات وتكاليف وتبعات باهظة، قد لا يتحملها الكثيرون. وللأسف فإن نقد مثل هذه السلوكيات أصبح يثير الاستهجان وربما الرفض المطلق، مع أن النقد هدفه تصويب السلوك، والحفاظ على قيمة المناسبة ورمزيتها بعيداً عن التفاخر أو التكاليف المرهقة أو المجاملة المصطنعة، ولا سيما أن العزاء من الأمور التي تأتي بغتة دون تحضير أو إعداد مسبق له.

إن الإسلام والعرف الأصيل قد هدّبا تقاليد العزاء في الأتراح،

ومن المؤكد أن التقاليد تسري عليها سنن الحياة في التطور والتغير والتعديل، ما ينعكس بدوره على مجمل السلوكيات التي تترجم هذه التقاليد والقيم. وإذا نظرنا إليها من جوانب أخلاقية وإنسانية، فإننا نكتشف بوضوح الوظائف والأدوار التي تلعبها هذه التقاليد في حياة المجتمعات من الجوانب كافة، التي تعكس مدى وحدة المجتمع وتماسكه، وتظهر في العديد من المناسبات المختلفة التي يظهر فيها الطابع التشاركي والتكافل وروح التضامن بين الناس، وهكذا يُصبح جزءاً من معنى الحياة المشتركة وقيمتها وازدهارها مُترجماً بوضوح في الفعاليات التي ترافق هذه المناسبات، وتُبرز من خلالها مجموعة المشاعر والعواطف والأحاسيس التي تُعدُّ من أهم القيم الأخلاقية والإنسانية التي تعكس التواضع والتراحم والتعاطف المشترك بين أفراد المجتمع.

والمجتمع الأردني شأنه شأن المجتمعات العربية الأخرى، رسخ فيه واستقر عددٌ من التقاليد والعادات والأعراف التي ينظر إليها أفرادها بوصفها ذات قيمة اجتماعية كبيرة، تؤدي وظائف عظيمة تعكس طبيعة وروح وتاريخ هذا الشعب، فضلاً عن كونها فضائل مورثة من خبرة الآباء والأجداد وتتم ممارستها منذ أمد طويل، ولذا فإنه لا أحد يُشكك في قيمتها المضافة إلى هوية المجتمع الأردني وخصائصه الأخلاقية والثقافية المحمودة.

لكن من جانب آخر فإذا كان الأمر لا يتعلق بالتشكيك أو الرفض لهذه العادات، أي بجوهر وأصالة هذه العادات والتقاليد، وإنما يتعلق بنقد بعض الممارسات والسلوكيات المبالغ فيها، التي أخذت تظهر في المناسبات الاجتماعية المختلفة. فإن مثل هذا النقد أصبح ضرورياً مع المبالغات التي يُظهرها الكثيرون في مناسباتهم، وتُشكك أن تصبح تقليداً يشوّه الرمزية الحقيقية للمناسبة

* باحث وكاتب أردني

وليمة غداء أو عشاء آخر يوم، أو ما يُسمّى كلفة الفراش.
- إن الأصل أن يكون الطعام لأهل المتوفى وليس العكس بأن يتكلف أهل المتوفى إقامة مثل هذه الوليمة لعدد كبير من الناس؛ إذ إن ذلك ينطوي على عبء مادي كبير، يشقُّ على الكثيرين تحمل تبعاته وتكاليفه الباهظة، حتى إن بعضهم يقوم في أول يوم أو ثاني يوم بما يُسمّى بـ (الونيسة)، بذبح الذبائح وما شابه، ويصنع الطعام، ليؤنس فيها ميتته.

- إن الأولى عوضاً عن مظاهر التباهي والتفاخر في الطعام والشراب، أن توزّع الأموال التي يتم إنفاقها كصدقات للفقراء والمحتاجين عن روح المتوفى. وهنا من جانب ديني واجتماعي أفضل بكثير من عادة الطعام والولائم لغير المحتاجين.

وجعلها بسيطة غير معقدة ولا مُتكلّفة، كي يجعل العواطف المرافقة لأداء الواجبات الخاصة بهذه المناسبة صادقة وتعكس التضامن، والأصل أنه مع تطور المجتمع وتغيّر ظروفه وأحواله وأمط معيشته وسكنه أن ينظر إلى هذه المناسبة نظرة تبسيطية كي لا يشقُّ على الناس القريب منهم والبعيد، فضلاً عن أصحاب المناسبة أنفسهم، وليس العكس، وكما يحصل الآن، فقد غدا لواجب العزاء طقوس طويلة وعادات معقدة، مُرهقة ومُكلّفة، وفيها مشقة حقيقية. وكل هذا يقتضي من الجميع إعادة النظر ومراجعة هذه العادات بنقدها ورفضها، واختصارها في حدود معنى الواجب، من دون أن يعني ذلك المساس بالمعاني الأصلية التي ترافق أداء هذا الواجب، ويجب ألاّ تثير هذه الدعوة الاستنكار، بل الشناء والترحيب، كي يقتدي بها الجميع، ويعترفوا بواقعيتها وفوائدها الحقيقية.

من هنا، فإن الاقتراح الذي نسوقه بخصوص هذه المناسبة وما يرافقها من عادات يتمثل بعدة جوانب أساسية، وهي:

- أن يُقتصر العزاء على ثلاثة أيام، يكون فيها اليوم الأول مفتوح، وأما اليومان الثاني والثالث فينبغي أن يُحدّد بساعات محددة، مثلاً من الساعة الثالثة بعد الظهر ولغاية الساعة التاسعة مساءً، وذلك تخفيفاً على الجميع.

- على المشيّعين الاكتفاء بتقديم واجب العزاء في المقبرة، وعدم الرجوع مباشرة إلى بيت العزاء، وذلك ليتسنى لذوي المتوفى أخذ قسط من الراحة وما شابه ذلك.

- أن يقتصر صنع الطعام لذوي المتوفى فقط، ويقدم خارج بيت العزاء. وهذا الأمر يتفق مع ما أكدّ عليه رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، والأولى أن يقتدى بسنته الكريمة.

- أن يكون السلام بالمصافحة، فيما تختصر الضيافة على القهوة السادة ومياه الشرب فقط، لا سيما أننا أصبحنا نشاهد طقوساً غريبة، من قبيل تقديم الحلوى بأنواعها، وهذا منافٍ لأصول المناسبة، مهما كانت الدوافع والذرائع.

- الإقلاع عن عادة طارئة مُستحدثة تتمثل في تقديم المعايدة لأهل المتوفى عند مرور أول عيد على وفاته سواء أكان عيد الفطر السعيد أم عيد الأضحى المبارك؛ إذ في هذا السلوك تجديد العزاء وتجديد الأحزان والمشاعر على أهل المتوفى.

- الإقلاع عن عادة أخرى بدأت تترسخ، وهي عادة إقامة